رأي القدس

فتح وحلّ السلطة

■ تشهد حركة «فتح» حالة من «الصحوة المسؤولة» هذه الايام تمثلت في مناقشة لجنتها المركزية مسألة مطالبة بعض اعضائها، ومنهم الطيب عبد الرحيم، حل السلطة رداً على الاهانات التي توجهها اسرائيل والولايات المتحدة الى رئيسها محمود عباس (ابو مازن) وكان آخرها اقتحام سجن اريحا واعتقال السيد احمد سعدات امين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واللواء فؤاد الشوبكي واربعة آخرين.

مثل هذا النقاش الدائر في قمة قيادة الحركة غير مسبوق، ويعكس ظاهرة صحية، فمن غير المنطقي ان يدعي العالم الغربي دعم السلطة الفلسطينية ومدها بالاموال ثم يطلق يد الدولة العبرية وقواتها الامنية لاضعافها واهانة المسؤولين فيها بالطريقة التي نشاهدها يومياً.

الرئيس عباس، كان من المفترض ان ينتهز فرصة وجوده في النمسا، ساعة اقتحام سجن اريحا ويعقد مؤتمراً صحافياً عالمياً، يعلن فيه استقالته من منصبه وحل السلطة، لان هذا الاقتحام يوفر له الفرصة والمبرر الشرعي، باعتباره اختراقاً مفضوحاً للشرعية الدولية، وصفعة مباشرة اليه شخصياً.

فوقائع الاحداث التي تواترت اثناء وبعد اقتحام القوات الاسرائيلية للسجن تؤكد وجود تواطؤ امريكي بريطاني مع الدولة العبرية، وكل ما سبق من اعذار لتبرير هذا التواطؤ مثل القول بان سلامة المراقبين البريطانيين والامريكان (اربعة فقط) كانت مهددة لم تقنع احداً على الاطلاق. والشيء نفسه يقال ايضاً عن عدم التزام هيئة السجن الفلسطينية بالشروط المتعلقة بمعاملة السجناء، مثل حصول المعتقلين على هواتف نقالة واتصالهم بالعالم الخارجي، فهذه الصحيفة تلقت اتصالات هاتفية من قبل معتقلين واسرى فلسطينيين من قلب السجون الاسرائيلية. كما ان السلطات الاسرائيلية سمحت لعدسات التلفزة العربية بالدخول الى زنزانة مروان البرغوثي واجراء مقابلات معه عشية الانتخابات التشريعية الفلسطينية.

ويظل لزاماً علينا التنبيه الى نقطة مهمة، وهي ان اي قرار بحل السلطة تتخذه حركة «فتح» يجب ان ينطلق من اهداف وطنية صرفة، ولخدمة مصالح الشعب الفلسطيني على المدى البعيد واحراج الدولة العبرية وحلفائها في امريكا، لا ان يأتي في اطار محاولات البعض، وداخل حركة «فتح» نفسها، افشال حكومة «حماس» المقبلة.

حل السلطة يجب ان يكون مقدمة لاعادة حركة «فتح» الى منطلقاتها الرئيسية كحركة مقاومة فلسطينية، تتمسك بثوابتها الوطنية، وتزيل كل ما علق بها من شوائب بسبب انخراطها في عملية تسوية مهينة وفاشلة، وتحملها مسؤولية توقيع وتنفيذ اتفاقات مثل اتفاق اوسلو زاد من تعقيد الاوضاع على الارض، وساهم في توسيع الاستيطان، وكسر عزلة الدولة العبرية عربياً وعالمياً.

السيد «عباس» اضعف من ان يتخذ مثل هذا القرار التاريخي في جميع الاحوال، ووعده للمطالبين بحل السلطة بمناقشة الامر مجرد مناورة لكسب الوقت، وارضاء بعض من طفح بهم الكيل في اللجنة المركزية للحركة، او على مستوى قواعدها الوطنية الغاضبة والمحبطة من هزيمة الانتخابات الاخيرة.

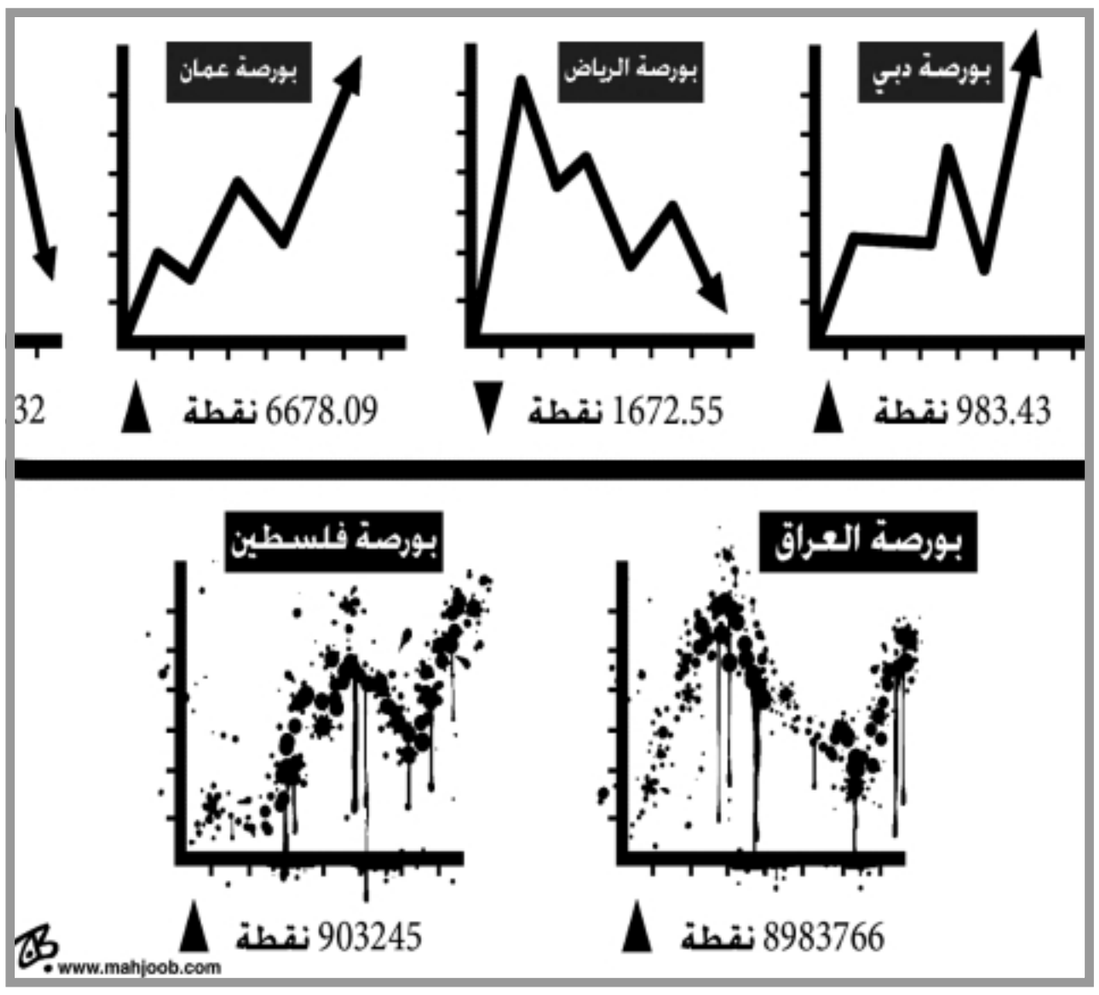

الشعب المصري يتحرك... والمثقفون في واد آخر

محمد عبدالحكم دياب *

■ من يتذكر طفولته من المصريين، خاصة من عاشوا في الريف، يجد أن لعبته المفضلة كان اسمها «عسكر وحرامية»، خاصة في الليالي غير المقمرة، في شوارع وحواري ضيقة متربة مظلمة، لم تكن رأت الكهرباء بعد، وقليل من أهلها من كان يضع فانوسا أمام منزله، أو على رأس حارته أو شارعه، وعند استرجاع هذا الزمن، منذ أكثر من نصف قرن، كانت هناك ترجمة للعبة وإطارا لقانونها. كانت في المعنى لعبة مواجهة بين الشرطة (العسكر) واللصوص (الحرامية)، ومثلت في أيام البراءة مستوى إدراكنا لصراع بدا لنا، ونحن في تلك السن، أنه دائم بين طرفين، على كل منهم أن يتصدى للآخر، وكنا نشعر بالسعادة الغامرة حين تنتصر الشرطة على اللصوص، في اللعبة طبعا، وكانت بنادق وأسلحة اللعب لدى الطرفين من البوص أو عيدان الحطب الجاف، وغاب عنا وقتها أنها معارك دارت في فراغ، ليس لها مجال حيوي أو خلفية، على هيئة جمهور أو شعب أو جماعة يمكن أن يحتويها المشهد.

هكذا كانت توحي ألعابنا، قبل دخول الكُتّاب وحفظ القرآن، و«فك الخط».. كان ذلك طموحا كبيرا لبسطاء وفقراء مصر، ممن يريدون أن يتخلصوا من عار الأمية وألا يكون أولادهم «بصمجية»، كحال الأغلبية الكاسحة من الشعب، في ذلك الزمان. وكانت أحلام بعض الأسر أن يوجد فيها من «يفك الخط»، وأخرى تريد أن ترتقي درجة في سلم التعليم، وتتيح لأولادها أو بعض منهم الحصول على الشهادة الابتدائية، تمكنه من وظيفة حكومية أو الالتحاق بالأزهر، ليتخرج مقرئا أو واعظا أو مأذونا، يتولى تحرير عقود الزواج والطلاق، وكل هذا كي لا يرث الأولاد أو بعضهم ميراث أبائهم الثقيل. كانت هذه حدود قصوى لكثير من أبناء مجتمع لم تطرق الثورة بابه، ولم يكن شعار طه حسين «التعليم كالماء والهواء» قد وجد فرصته بعد.

ولما تطورت مداركنا وتفتح ذهننا وتعرفنا على الحياة وجدنا أن المجتمع ليس مقسما على هذا النحو الطفولي. وأن هناك أناسا، لا هم من «العسكر» ولا هو من «الحرامية»، يذوبون في بحر واسع وعميق اسمه الشعب. ونكبر ثم نشيخ ونسمع من يصف الشعب بـ«الحرامية».. وكلنا يذكر ذلك الوصف الذي ورد على لسان السادات في حديثه عن انتفاضة كانون الثاني (يناير) 1977، على أساس إنها انتفاضة «الحرامية»، واختلطت المفاهيم والأوصاف عن عمد، بهدف ادماج العسكر مع الحرامية، بالمعنى الذي عشناه في طفولتنا.. بدأ ذلك بتحالف «العسكر والحرامية» الحقيقيين، وفي مرحلة تالية اتحدوا على عدو واحد هو الشعب، أو «الحرامية»، حسب ما ورد في القاموس الساداتي، إلى أن انتقل القرار بالكامل إلى ممثليهم، في عصر حسني مبارك، فضبطوا حدود ومجال نشاط مؤسسات الدولة، وليس الشرطة ورجال الأمن فقط، على مصالحهم ووظفوها لمنافعهم.

وعند وصول الأوضاع إلى مثل هذا المستوى المتدني علينا إعادة التعرف على نوعية من العقليات تدير دفة السياسة والحكم، كثير منهم لا يتمتع بأي حس إنساني أو أخلاقي.. فقد كامل حواسه، سواء بالمعنى المادي أو المعنوي، والإنسان الفاقد لحواسه لن يحس، أو يسمع، أو يرى، أو يتذوق، أو يشم، ويعجز عن التعرف على ما يحيط به ووصل الأمر ببعضهم ألا يرى الخطر وهو يقترب منه ويهدد وجوده، حتى ليخيل لك أنه أدنى في القدرات والملكات من مخلوقات دنيا في مملكة الحيوان، فالصراصير، وهي تعيش بين القاذورات، وداخل الأماكن العطنة، وبين الروائح الكريهة، تعتمد على قرون استشعار تدرأ بها الخطر عن نفسها، وتجد أن مثل هذه القرون غير متوفرة لمخلوقات تتحكم في كل شيء تقريبا في مصر.

فقدان هؤلاء للحس السياسي والاجتماعي والإنساني والوازع الأخلاقي، يجعلهم غير مؤهلين للحكم، والمطلوب منهم هو تمثيل دور الحكام.. يحكمون دون حاجة إلى المعرفة أو الخبرة السياسية، ودون توفر ملكات القيادة. ويسترون قصورهم بتهويمات يقولون عنها «فكر جديد» دون جديد، ولا علاقة له بالمعرفة أو الثقافة العامة، وتجد أن من يدعي رعاية الثقافة من بينهم يمارس ادعاءه وهو يتحسس مسدسه، على الطريقة النازية. وليس في قدرة أي من هؤلاء الارتقاء بالأداء أو السلوك، لا على المستوى الشخصي، ولا على مستوى العام. فافتقدوا إمكانية التعاطي السوي مع الحياة والبشر، وهم في اختيارهم لأدواتهم ومساعديهم يختارونهم من نفس الطينة.. بلا حواس ولا مشاعر ولا خلق. وكل نجاح يتحقق لهم ليس إلا فشلا ذريعا على الصعيد العام، فسياسة «الاستقرار من أجل الاستمرار» المتبعة في مصر، على مدى ربع قرن، وجلبت كل المصائب، تتم بالانتقام والبطش والملاحقة وهتك الأعراض والفساد والتبعية. ونجاحها المفترض جاء على حساب الاستقرار ذاته، ومدفوع من راحة الإنسان وكرامته، وتحت كم من الرعب حول الحياة إلى جحيم لا يطاق. وهو ما انتهى إلى مواجهة نتابعها لحظة بلحظة.. فطاقة أي شعب أو جماعة على التحمل لها حدود.. درس لا يعيه هؤلاء. فالناس لديهم كتل صماء، ليست لها مطالب واحتياجات، ولا تملك إلا الرضوخ والإذعان. وكل هذه ظروف تدفع الناس دفعا نحو الثورة.

فمن يقيم الجدران ويغلق النوافذ هو في الحقيقة يمارس ذلك ضد نفسه.. وغياب الإحساس بالأمان لديه يجعله أول من يختنق، ويضعه في مقدمة من يقع تحت طائلة الحصار، ومع أول ثغرة في الجدار وفتح أول نافذة، يصاب بالهلع والذعر، وإذا لم يقدر على الهرب فإنه يواجه مصيره. وهكذا تُصنع الثورات وتنهيأ ظروفها، فالطاغية والجلاد يتصور كل منهما أن السوط والعنف هو الحل، وأن إعمال السيف وقطع الرقاب هو السبيل لإحكام القبضة. ومع وضع اعتبارات الزمان والمكان في الحسبان فالمسار نحو الثورة واحد.. في أساسياته وثوابته.. الوقت مطلوب للتأكد من نفاد الصبر وضياع الفرص، وهو النار الضرورية لإنضاج الواقع وبلورة الفعل المناسب، وصقل الأدوات وإعدادها. والصبر النافد والفرص الضائعة قضت على حكم مبارك، ولم تبق غير الثورة طريقا لإزاحته ودفنه.

وعن الثورة.. لنترك الثورة الفلسطينية جانبا. فمع أنها الأطول والأكثر جسارة، في التاريخ العربي والإسلامي، منذ أيامها الأولى عام 1936، حتى مرحلتها الأخيرة، وتجلياتها المعاصرة، باندلاع انتفاضتين: أولى وثانية، وعندما ننتقل إلى مصر نجد أن المماليك، «العسكر والحرامية»، فتتوا البلاد وحولوها إلى ضيع وإقطاعيات لحسابهم وورثوها لأولادهم من بعدهم، ما تصوروا أبدا أن هناك من سيتمكن من إزاحتهم، وفاجأتهم ثورة مزدوجة، تقاومهم وتقاوم الحملة الفرنسية، في نهاية القرن الثامن عشر، واستمرت متصاعدة بقيادة عمر مكرم، منذ 1798 وحتى انتصرت 1805، بتولية محمد علي حكم البلاد. ثورة استمرت سبع سنوات متواصلة حتى حققت هدفها.

وثورة عرابي نفسها، بدرتها وُضعت سنة 1879، لم تبدأ وتنتهي في 9 أيلول (سبتمبر) 1881، كما يذكر بعض المؤرخين، بحصار قوات أحمد عرابي لقصر عابدين وتقديم مطالب باسم الشعب بأسره إلى الخديوي توفيق.. إنما اندلعت قبل ذلك، في كانون الثاني (يناير)، حين رفعت مطالب الضباط المصريين في الجيش، وسرعان ما تلاحقت الأحداث، ولم تنته مع الغزو البريطاني، واستمرت تقاوم الغزو وهزمت بفعل الخيانة بعد شهرين في موقعة التل الكبير.. استمرت من يناير 1881 إلى سبتمبر 1882. وثورة 1919. بدأت في تشرين الثاني (نوفمبر) 1918، بتشكيل وفد حصل على توكيل شعبي لعرض مطالب الاستقلال أمام مؤتمر الصلح في باريس، ووصلت ذروتها في سنة 1919 وشملت مصر من أقصاها إلى أقصاها، وانتهت عام 1922 بالحصول على الاستقلال الإسمي، وحتى ثورة تموز (يوليو) 1952 لم تكن استثناء.. كانت تتويجا، لمسيرة انطلقت سنة 1946.. السنة التي شهدت توحيد الجهد الوطني بين الطلبة والعمال، وهم يواجهون الاحتلال ويتصدون لاستبداد اسماعيل صدقي. واستمرت المواجهة في الشارع حتى تهيأت الظروف التي استولت فيها القوات المسلحة على الحكم.. ست سنوات من الكفاح المنظم والمستمر.

أما شرارة الثورة الجديدة فقد اندلعت.. صحيح أنها لم تكتمل بعد، وقد تجهض، لا قدر الله، فمصر لن تشهد تراجعا، لا من الشعب ولا من «عائلة مبارك».. كل يواجه الآخر، وكثير من المؤشرات تقول بأن الوحشية التي تمارس فقدت تأثيرها، في جو نفسي شاعت فيه التضحية وتحلى فيه الناس بالجرأة.. ونفض كثير منهم عن نفسه غبار السلبية، مع درجة عالية من الثقة في قرب التخلص من حكم «العائلة».. وهذا الذي يطلقون عليه حراكا سياسيا، وبدأ مع ظهور حركة «كفاية» ليس إلا بداية لثورة انطلقت في 2004، ونعيش حلقاتها، حلقة وراء أخرى، ويمكن رؤية ذلك بالعين المجردة.

أليس هذا الاشتباك القائم بين «عائلة مبارك» والشعب الرافض لها مظهرا من مظاهرها؟ وما مغزى التصدي لترتيبات «التوريث» واستمرار «عائلة مبارك» في حكم مصر؟ وما دلالة اشتباك «الرئيس الموازي» ومواليه، الذي لا يتوقف مع الصحافيين والمثقفين والمحامين وأساتذة الجامعات؟.. وما الذي جعل نساء مصر يلبسن الحداد ويخرجن إلى الشوارع ردا على ما حدث لزميلاتهن الصحافيات والمحاميات من هتك للأعراض في يوم الأربعاء الأسود؟، ولماذا يقاوم أساتذة الجامعة سطوة الأمن على الجامعة وعلى أعضاء هيئات التدريس بها؟ ولماذا اعتصمت نساء وبنات المعتقلين في السجون، دون تهمة أو محاكمة، لمدد زادت عن خمسة عشر عاما؟، ولماذا انتفض القضاء بعد أن رفض أن يكون شاهد زور على جرائم التزوير والبلطجة التي تمت بتعليمات مباشرة من «الرئيس الموازي»؟ ولماذا لم يسكت على ما حدث له داخل وخارج لجان الانتخابات التشريعية، في شهري تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الاول (ديسمبر) الماضيين، وتعرضه لاعتداءات الأمن وبلطجية الحزب الحاكم؟ ولماذا الحصار المضروب حول أحزاب، هي في الأصل ضعيفة؟ ومبرر الاشتباك مع «كفاية»؟ أليست هذه مظاهر الثورة؟ الشارع يموج بالحركة. وكلما انضمت قوى جديدة إليه كلما اقترب النصر. ومصر الآن تعيش لحظة تتطلع فيها إلى العمال وهم يعيشون محنة تصفيتهم، كقوى منتجة، بتصفية مشروعات وصناعات عاشوا عليها وفي كنفها، وبناها الشعب من عرقه ودمه وماله، وإلى الفلاحين وهم يواجهون عودة الإقطاع بجبروته وغبائه المعهود، وإلى الطلاب الذين هم محرك الثورات ووقودها، ويوم ينضم هؤلاء إلى الجموع المشتكية مع «العائلة» ومواليها، سيكون ذلك هو يوم انتصار الثورة الكبير، لكن السؤال هو هل لا يتورع هؤلاء عن طلب التدخل الأجنبي لحماية «العرش»، كما فعل الخديوي توفيق؟!!.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

العراق: تأمل في الف باء الحياة في العام الرابع للاحتلال

هيفاء زنكنة *

■ ونحن نخطو خطواتنا الاولى على رصيف العام الرابع من الاحتلال نسير بحذر شديد، لئلا نتلطخ بالدماء، لئلا تتكسر قلوبنا، قلوبنا المثقلة بالخوف، الخوف على اهلنا من الموت، الخوف على عراقنا من التمزق، من سيطرة الغرباء، الخوف من ان نضعف فلا نعود قادرين على مقاومة الغزاة البرابرة. الخوف من رذاذ الحقد والانتقام يغطي عيوننا فلا نرى الملامح الحقيقية للاخرين، الخوف من الريح المسمومة قد تقتلع كل ما هو حي، فتجف الحياة ويسود الظلام. الخوف مما تحمله الدقائق الآتية.

يعيش الغزاة في زاوية اطلقوا عليها اسم المنطقة الخضراء. تحيط بهم الاسيجة الكونكريتية والاسلاك الشائكة. معهم يقيم عدد من ابناء جلدتنا. اصطحبهم الغزاة من الاراضي البعيدة وهم يحملون راية تقاطع المصالح. انهم سجناء الكراسي، المناصب، العقود، الانتقام، والمحاصصة الطائفية والعرقية. لايغادرون قصور وقاعات وبيوت الزاوية الا نادرا، واذا ما تجرأوا على الخروج من خلف اسيجتها الواقية الى شوارع المدينة فانهم سيخرجون في سيارات مصفحة مظللة النوافذ أو وهم محاطون بمرتزقة ضخام الاجساد، يرتدون نظارات داكنة اللون. يحجبون عنهم الوطن واهله. لئلا يروا.

لئلا يروا شوارع المدن وقد تحولت الى برك دماء. لايرون ابناء مدنهم وهم يحملون خراطيم المياه لغسلها من دماء الضحايا. لايرون الاطفال وقد جمدت الضحكة على وجوههم وتوقفوا عن اللعب في الشوارع والطرقات، مثل الكبار يدورون بين الاشلاء المتناثرة وهم يجمعون الاصابع والاقدام والبقايا في اكياس لتدفن بلا اسماء، يبحثون عن أغطية يسترون بها عري الموت. صار الاطفال مثل الكبار لايبكون.

اختار القادمون مع الغزاة ان يكونوا درعا لهم. اما كانوا يعرفون طبيعتهم؟ لم لم يقرأوا كتب التاريخ والحاضر، أم انهم اختاروا الا يقرأوا؟ الا يعلمون ان كتب التاريخ والحاضر تقول: هذا هو حال الغزاة مهما ارتدوا من مسوح. يحرقون ينهبون يدمرون ينتزعون من ابن البلد المحتل كرامته، هويته، تاريخه واحلامه. يقدمون اليه الكذب مغلفا بالوعيد. تتراكم الاكاذيب، تترسب مثل الكلس، حتى يصبح من الصعب رؤية الحقيقة. تدفن الحقيقة بين ألق غنائم الغزاة. تنطمر حين تختلط اكاذيب الغزاة بتلفيقات المتعاونين معهم من ابناء البلد. فالغزاة يعرفون جيدا بانهم لن ينجحوا، مهما كانت قوتهم، في فتح بوابات المدن من الخارج.

اختاروا دخول الوطن على دبابة الاحتلال المعبئة بالسلاح والاكاذيب وتابوت ميت اطلقوا عليه اسم تقاطع المصالح، فذابت المقاييس والاعراف والمبادئ وحتى البرامج السياسية لتتحول الى عجينة يشكلها الغزاة كما وكيف يريدون. انكسرت البوصلة الاخلاقية. فأصبح الشيوعي مبسملا بديمقراطية الرأسمالية، وسياسيو الاحزاب الاسلامية محولقين بديمقراطية الطائفة ومستلمي رواتب السي آي أيه والمخابرات البريطانية مستقلون علمانيون، ومستخدمات واشنطن قياديات لحقوق المرأة العراقية.

قالوا للغزاة. سيستقبلكم العراقيون كمحررين بالزهور والحلوى. موهوا رغبة الناس بالخلاص من الدكتاتورية بالترحيب بالمحتل واغتصابه الوطن. ثم وقفوا صفوفا بانتظار المكافأة. توزيع الكراسي الطائفية والعرقية، يجلسون عليها مثل الدمى ليحركهم ويسيرهم من الوراء الغزاة. وزعت عليهم اقلاما خاصة لتوقيع التنازلات. واختفت مصطلحات التحرير وتقاطع المصالح والحرية وتلاها تدريجيا دفن الاستفتاء والدستور والانتخابات تحت طبقات متوالية الاكاذيب. نما في ظل الزاوية الخضراء، بسرعة نمو الاعشاب الضارة، في ارجاء البلاد، سلاطين صغار وميليشيات تتغدى على دماء الناس. أراقوا حبر المطابع واختلط بدماء المدافعين عن الحقيقة. كسرت الاقلام. سجن من تجرأ على كتابة مقالتين عن الفساد وحكم عليه بالسجن ثلاثين عاما بأمر من احد السلاطين الجدد. ارادوه عبرة لمن اعتبر. قتلوا الاساتذة اغتالوا العلماء اختطفوا الاطباء. ارهابا وترويعا للناس. أضرب من يخشى على سلامة الكلمة عن الكتابة، ولم يبق في البلاد من حروف وكلمات غير شعار الغزاة. الحرب على الارهاب.

اليوم، ونحن نستقبل اليوم الاول من العام الرابع للغزو بالمزيد من الضحايا والدماء. نجد انفسنا واقفين في سفينة واحدة تدعى الوطن، مع ابناء جلدتنا ممن رافقوا الغزاة (لانهم، على الرغم من كل شيء، ابناء جلدتنا، كما كان الدكتاتور السابق واجهزة قمعه من ابناء جلدتنا). السفينة مهددة بالغرق. الغزاة يتفرجون على ما زرعوه. كل من رافق الغزاة واقف على سطحها وبيده فأس، يريد اقتطاع رقعة تتناسب مع عدد ضحايا الحزب او الطائفة او العرق او الجنس الذين اغتالهم النظام السابق. يقول احدهم انا ابن الطائفة المظلومة قدمت مليون ضحية. لذلك استحق دفة السفينة ووقودها. يقول آخر انا ابن القومية الثانية، قدمت مئات الآلاف من الضحايا، لذلك استحق مكائن السفينة. يقول آخر انا ابن الحزب الشيوعي قدمت آلاف الضحايا لذلك استحق سطح السفينة. يقول آخر انا ابن الطائفة المهمشة التي قدمت آلاف الضحايا لذلك استحق مستودعات السفينة. أصبحت الاستحقاقات في السفينة تتناسب مع عدد ضحايا النظام السابق، وكوبونات مزايدة ومتاجرة للحصول على حصة اكبر من غنائم الغزو، متناسين آلام ومعاناة أهالي الضحايا الذين نادرا ما يلتفت اليهم أحد، متناسين انهم، انفسهم، لانهم في مواقع السلطة، كما كان مسؤولو النظام السابق، يتحملون مسؤولية الجرائم المرتكبة في كل يوم. متجاهلين بان اقتسام السفينة سيغرقها وان المحافظة على سلامة الركاب تتطلب رعاية السفينة، صيانتها والمحافظة عليها.

ونحن؟ اقدامنا مغموسة بالدماء، عقولنا، عيوننا مشلولة، مسربلة بالخوف لئلا نفقد شخصا اخر. هل بامكاننا ان نتحمل بعد القمع والحروب والغزو والموت موتا آخر؟ نحن الغالبية نسير في شوارع مدينتنا كمواطنين من الدرجة الثانية يوحدنا الخوف على أهلنا ووطننا والحاجة والسعي وراء لقمة العيش والحرص على حياة اطفالنا وصحتهم وتعليمهم. مشغولون بهمومنا ومآسينا الى حد لم نعد نسمع فيه كل من يقول انا ابن القومية الكبرى، انا ابن الطائفة المظلومة، انا ابن الطائفة المهمشة، انا ابن القومية الصغرى انا ابن الاقلية الفلانية او العلانية.

هل صارت خياراتنا محددة ما بين البناء والتهديم، ما بين التهديم والتهديم، ما بين الموت والحياة، أم ما بين الموت والموت؟ لم يعد السؤال الاول عن المستقبل بقدر ما هو عن البقاء الآن. عن اللحظة. هل بامكان من يسكنه الخوف من الموت ان يفرح، يحلم، يخطط، يبني، يعلم اطفاله كيف يحتفلون بالحياة؟

كيف سنتحرر من حصار اللاخيار لنمتلك الحرية؟

أليس من حق موتانا، قتلانا، ضحايانا، شهدائنا، في حلبجة والبصرة والعمارة وسامراء والنجف وحديثة والفلوجة، تحت النظام السابق والحالي، أليس من حقهم علينا ان نعتز بالحياة؟ ألا نكرر دائرة القتل والعنف؟ ألا تذوب أجساد اطفالنا بالاسلحة الكيمياوية والنابالم؟

في اليوم الاول من العام الرابع لغزو البرابرة لبلادنا، وقفت ست فاطمة، المعلمة في مدرسة الخنساء الابتدائية للبنات، ببغداد، امام تلميذاتها والدموع تنهمر على خديها. لقد شاهدت وهي في طريقها الى المدرسة قتل امرأة عند نقطة تفتيش امريكية. انسحب الجنود بسرعة. تركوا المرأة ممددة على ظهرها، مكشوفة الساقين، غارقة بدمائها على الرصيف. اقتربت منها ست فاطمة رغم التحذيرات. سحبت تنورتها، لتغطي ساقيها. ارادت ان تمنحها حق الموت بكرامة. متأملة رأت فيها نفسها. فتغيرت، في لحظة الاقتراب من الموت حياتها. قالت ست فاطمة بصوتها الهادئ الحزين مخاطبة تلميذاتها: من اجل بناء المستقبل علينا انقاذ الحاضر. لقد تخلصنا من النظام البائد، تنفسنا الصعداء، فماذا عن الآن؟ هل نبقى نبكي وننوح على ماخسرناه هل نقتل كما قتل السابقون انتقاما، ام نتعلم الحياة؟ فليكن درسنا اليوم عن الحاضر. قسموا صفحة الدفتر الى قسمين. اكتبوا في القسم الاول: احتلال، قصف جوي، نابالم، يورانيوم منضب، طائرة بلا طيار، محتل امريكي، فسفور ابيض، محتل بريطاني، شاحنات، دبابات، ماء ملوث، امراض، بلا خدمات، أكاذيب، نهب الخيرات، اهانة، اعتقال، تعذيب وقتل. اكتبوا في النصف الثاني وعلى طول الصفحة: مقاومة، هكذا الالفباء الجديدة، الفباء الحياة.

* كاتبة من العراق

...والتواطؤ الاعلامي ايضا!

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

في النشرة الاخبارية لمحطة ان بي سي NBC الامريكية مساء يوم الثلاثاء الماضي الذي شهد الاجتياح الاسرائيلي لسجن اريحا واعتقال احمد سعدات زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واخرين، خصصت المحطة حوالي عشر ثوان للخبر، بحيث لو ان المشاهد رمشت عينه لفاته الخبر. وبالفعل فانني لم ادرك ان المذيع بدأ يتحدث عن ازمة اريحا الا بعد ان انتهى أو كاد.

(2)

ما هو يا ترى الخبر الرئيسي على NBC الذي حجب احداث فلسطين الملتهبة وغطى عليها؟ فضيحة البيت الابيض؟ اعصار في فلوريدا؟ هجوم ارهابي جديد على نويورك؟ كلا! الخبر الرئيسي الذي استغرق اكثر من خمس دقائق كان خبرا عن حرب العراق عام 2003.

نعم، ليس حرب العراق اليوم، وانما الحرب اياها والغزو، والحجة صدور كتاب جديد لاحد الضباط الذين شاركوا في الحرب «يكشف» معلومات جديدة، جهدت حتى أتابع اي جديد في هذا الخبر فلم اوفق اطلاقا.

(3)

هيئة الاذاعة البريطانية ومعظم الصحف ومحطات التلفزة البريطانية كانت اكثر كرما، حيث خصصت صدر نشراتها للخبر، السبب الاساسي كان صعوبة تجاهل ما يحدث بسبب الادعاءات من تواطؤ بريطانيا في عملية السجن، وما تبع ذلك من تعرض المصالح البريطانية في فلسطين للخطر، والخوف من احداث مماثلة في بلدان عربية اخرى.

(4)

زيادة حجم التغطية لا تعني بالضرورة زيادة حجم المعلومات، النشرات الاخبارية في البي بي سي مثلا قدمت الخبر كالاتي: اسرائيل تقتحم سجن اريحا وتعتقل «متطرفا» فلسطينيا متهما باغتيال وزير السياحة الاسرائيلي السابق، لم يرد من الخبر اطلاقا ان الرجل المطلوب كان زعيم حزب سياسي معروف، وعضوا في البرلمان ولم تكن هناك اي اشارة الى ان مقتل وزير السياحة جاء ردا على قتل زعيم الحزب السابق، ولم يجر اي تفسير حتى للنقطة ذات الاهمية القصوى لبريطانيا، وهي لماذا كان هناك مراقبون بريطانيون وامريكيون في الاساس اذا كان السجين مجرما عاديا و«متطرفا» من القتلة كما يوحي الخبر؟ هل ترسل بريطانيا وامريكا مراقبين الى كل سجن يعتقل فيه «متطرفون» متهمون بالقتل؟

(5)

الصحافيون ومعدو النشرات غالبا ما يعللون هذا «الاختصار» المخل باستحالة تغطية جميع جوانب القضية المعقدة في خبر واحد. ولكن خيارات التعابير، والخيار حول ما يترك وما يضمن، حتى في خبر صغير، له دلالاته وايضا نتائجه. البي بي سي كانت في الماضي هدفا لتهجم اسرائيلي جاد ومكثف ومتصل تحديدا لانها كانت تضمن اخبارها ما لا تريده اسرائيل وتحذف منها ما تريده، وقد سعت الهيئة للتكفير عن هذا الذنب باجراءات اثارت انتقادات عنيفة من اطراف اخرى - ويبدو انها ما تزال في مناخ التوبة والانابة ذاك.

(6)

العمل الاعلامي قد يأخذ شكل التواطؤ مع العمل السياسي والعسكري حين يأخذ هيئة مقصودا منها دعم هذا العمل او صرف النظر عنه، وقد كثر الحديث عن التواطو البريطاني - الامريكي في عملية اريحا؟ وهو تواطؤ لا يخفى حتى على من عدم البصر والبصيرة، وقد حاول الطرفان صرف النظر عن هذا الاثم بحملة اعلامية مسبقة ومنسقة يقصد التضليل وطي الحقائق، ولكن يبدو ان من تم اسناد مهمة الترويج لهذا التضليل لهم هم انفسهم لا يصدقون رواتبهم للاحداث.

(7)

خلال اليومين الماضيين اطلقت القوات الامريكية حملة اعلامية غير مسبوقة للترويج لحملتها الاخيرة على سامراء، وجذب وسائل الاعلام لتغطيتها عبر التضخيم والاعلان بانها اكبر حملة عسكرية منذ الغزو الامريكي (وهي كذبة واضحة لان حرب الفلوجة كانت اكبر بكثير)، هذا التوجه في حد ذاته مستغرب، لان الامريكان كانوا في السابق يعاملون الاعلاميين معاملة بني اسرائيل لانبيائهم (اي يقتلونهم بغير حق)، مما يدفعنا الى التساؤل عن هذا التضليل الاعلامي المتعمد الذي لابد انه بدوره يقصد اما الى صرف النظر عن امر آخر او الى ارسال رسالة وراء الرسالة. والله اعلم.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 Fax: 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364